



فاجأ بوتن العالم بقرار سحب الجزء الرئيسي من قواته في سوريا، تاركا العالم يتخطى في فهم القرار وأبعاده وأهدافه، حتى مضت ساعات طويلة على إعلان القرار، من دون أن يصدر من إيران، الحليف الأهم لروسيا في سوريا وغيرها أي تعليق، باستثناء تعليق لجواد طريف كان أشبه بتحليل اضطر إليه في مؤتمر صحافي، فيما يعلم الجميع أن الملف السوري ليس بيده أصلا، ولا بيد روحاني.

في خلفيات القرار يمكن القول إن بوتن ومنذ اللحظة الأولى كان خائفا من تورط طويل في سوريا، وجاء بطء التقدم ليؤكد مخاوفه، لاسيما أنه يدرك تمام الإدراك حقيقة التوايا الأميركية حاله، والغربية عموما، والتي ترى في تورطه في سوريا فرصة لاستنزافه ورد الإهانة التي وجهها لهم في أوكرانيا.

وهنا يستحضر كثيرون قصة الطائرة السورية المقاتلة التي أسقطت بصاروخ حاربي، وإمكانية أن يجري تسريب مضادات طيران للثوار تعيد تشكيل ميزان القوى، وتستعيد في ذاكرة الروس حكاية "ستينجر" في أفغانستان، والتي كانت مقدمة للهزيمة. لكن تدهور أسعار النفط كان عاملا آخر شكل ضغطا على أعصاب بوتين، وحيث لا يتحمل الاقتصاد الروسي تورطا مكلفا في سوريا.

في السياق السوري، يبدو من العيب تصديق قصة "تحقيق التدخل لأهدافه" التي وضعها بوتن في معرض تبرير القرار، اللهم إلا إذا أخذناه في سياق من تقديرات سابقة، تقول إن هدفه هو تأمين ممرات الدولة العلوية، وهنا يمكن القول إن شيئا من ذلك قد تحقق، وصار بوسع العلويين أن يحصلوا على دولة، أو كانتون ضمن خيار فيدرالي لم يعد يخفى على أحد أنه بات مطروحا في الأروقة الدولية، ولا يمانع فيه، لا الأميركيان ولا الروس أنفسهم (يؤمنون نفوذهم وقادتهم العسكريتين)، وإن اعتبره الإيرانيون والأتراك خطرا كبيرة لجهة تهديد الأكراد في كلٍّهما بالانفصال. أما التفكير في حسم عسكري شامل، كما يحلم بشار، وربما سليماني أيضا، فثمنه كبير جدا لا يمكن احتماله.

أن يأتي القرار الروسي عشية بدء مفاوضات جنيف، فلذلك دلالته دون شك، وبالطبع في ظل غطرسة الخطاب الذي قدمه ولد المعلم، وسيده من قبل، والذي يتحدث عن الصراع، كما لو كان صراعا مع وائل الحلقي (رئيس الوزراء)، وليس مع النظام برأسه وبنيته الأمنية والعسكرية الطائفية، وهنا يمكن القول إن بوتن أراد الضغط على النظام، وعلى إيران أيضا كي يتعاملوا مع المفاوضات بروحية من يبحث عن النجاح وليس الفشل؛ معلولا على انتصار مقبل بالقوة الروسية. بل إن الدوائر المقربة من النظام السوري لم تتردد في الاعتراف بذلك بكل وضوح.

هل يعني ذلك أن الانسحاب كان جزءا من صفقة روسية مع الأميركيان؟ من الصعب قول ذلك، فالانسحاب كان مفاجئا لواشنطن، لكن التفاهمات الأميركية الروسية على الحل تبدو صحيحة، وهي لا تعجب النظام ولا إيران، وقد لا تكون مرضية للسعودية وتركيا أيضا.

لو كان هناك بعض العقل والرشد في إيران، لأمكن التوصل إلى تفاهم بينها وبين السعودية وتركيا على حل مقبول لسوريا واليمن ولكل الملفات العالقة، بدل منح الوصاية والتأثير لمن لا يريدون خيرا بالمنطقة وأهلها، لكنها لعنة الغطرسة وغرور القوة التي ستصطدم بالجدار المسدود دون شك، وخاصة أن التطورات في اليمن تمضي في غير صالح إيران، فيما يتحول

المأزق في العراق إلى صراع بين القوى الشيعية نفسها، وليس مع تنظيم الدولة وحسب، فضلاً عن مأزق حزب الله الكبير في لبنان.

العرب القطرية

المصادر: